

أثر الحوار الافتراضي في بناء النص الشعري

د. بدران عبدالحسين محمود

## أثر الحوار الافتراضي في بناء النص الشعري

د. بدران عبدالحسين محمود  
جامعة كركوك / كلية التربية

بسم الله الرحمن الرحيم

### المقدمة:

لم يجانب الناقد باحتين الصواب حينما جعل الحوار والحوارية عملية تدخل بنية النصوص كافة وتسيرها ولقد نال الحوار بأنواعه الخارجية والداخلية اهتماماً من قبل الناقد كما نالت الحوارية الاهتمام نفسه، وهناك نوع آخر يشغل مساحة أوسع وتدخل أقوى وعلى الرغم من الإشارة إليه من قبل القدماء والمحدثين إلا لم ينل حظاً وافراً في الدراسات النقدية إلا وهو الحوار الافتراضي الذي ينص على أن كل جملة شعرية كانت أم نثرية ما هي إلا جواب لسؤال مقدر ومفترض والناطق بالجملة محاوراً كان أم راوياً لا ينطق بجملة اعتباطاً وإنما تأتي جملة أو خطابه أو سرده إجابة لسؤال مفترض يفرضه المحاور فيجيب عليه.

من هنا أنطلق منقياً عن طبيعة الحوار الافتراضي وإشكاله و دور هذا الحوار في البناء الشعري إذ يجد الباحث أن هذا الشكل الحواري هو الأساس في البناء الشعري لأنه يعطي المبررات لكل جملة في النص ولماذا جاءت بهذه الصيغة دون تلك ومن خلاله يمكن التعرف على الوحدة العضوية في القصيدة وعلى دلالتها وتركيبها النحوي كما نتعرف على نوعية المحاور الافتراضي ودوره في حركية النصوص واتجاهاتها كما يتناول البحث طرق ومقومات وأشكال هذا النوع الحواري عسى أن تكون بذوراً لدراسات أشمل وأعمق ومن الله التوفيق...

### مفهوم الحوار الافتراضي

الحوار في معناه الاصطلاحي كلام يدور بين طرفين أو أكثر، ولقد اتخذت الدراسات التي تناولت الحوار هذا التعريف أساساً لها بيد أن الدراسات النقدية قد توسعت معها دائرة الحوار بحيث أصبح التعريف المذكور يقتصر على الحوار الخارجي فقط وهذا النوع من الحوار يلعب دوراً كبيراً في بناء النص الأدبي فهو العماد الأساس في النص المسرحي والعنصر المساعد في الاعمال القصصية كونه يخفف من رتابة السرد ويكشف عن أصوات الشخصيات بصورة جلية ويأتي الحوار الداخلي ليحتل المرتبة الثانية بعد الحوار الخارجي وهذا النوع من الحوار كما يرى أليوت هو " حوار الشخص مع نفسه أو مع لا أحد" وكلا النوعين من الحوار قد دخلا البناء الشعري منذ القدم وقد أدرك الشعراء أهميته من خلال النقل الحي للأحداث وأصوات الشخص والتفاعل والتواصل في سير أبيات القصيدة وجملها وقدرته على ربط العلاقات الداخلية للنص. ومع أنبثاق الدراسات البنوية والسميائية والابستمولوجية فقد انبثقت معها مصطلحات نقدية جديدة نابعة من اهتمام المذهب البنوي ومن حذا خذوه ببنية النص ولا شيء خارج النص وألغت دور المؤلف لأن من صفة الدراسات اللسانية الاهتمام بأنساق النص وشبكة العلاقات الداخلية بين تلك الأنساق وأخذنا نسمع بمصطلحات مثل الراوي، المروي عنه، المؤلف المجرد، السارد، المسرود عنه، القاريء الفعلي، القاريء المجرد، القاريء الافتراضي، القاريء الخيالي، المحاور، المحاور الافتراضي، والقائمة تطول وقد ساعد ذلك على الكشف عن كثير من البنى العميقة والبعيدة عن السطحية والتفسيرية العامة للنص ومن تلك البنى المكتشفة بنية الحوار الافتراضي الذي يتميز دائرة أوسع من دائرة الحوار الظاهر بنوعيه الخارجي والداخلي وذلك لأن ذلك الحوار الافتراضي يدخل بنية كل خطاب ويقوم على فكرة أن كل تركيب جملي غير استقهامي هو إجابة لسؤال تقدره طبيعة ذلك التركيب فالمتكلم حينما يوجه خطابه بأي شكل من الأشكال فلا بد أن يكون كلامه إجابة لكلام ظاهر أو افتراضي يتكامل مع خطابه، وألا فأن ذلك الخطاب يصبح عديم الجدوى ما لم يكن إجابة لأسئلة قد تعرض عليه أو قد تدور في الأذهان.

فالمتكلم حينما يقول أذهب الى المدرسة، فأن هذه الجملة ما هي إلا جواب لسؤال مقدر تقديره أين تذهب؟ التي كون الجملة أذهب الى المدرسة جواباً أذهب الى

## أثر الحوار الافتراضي في بناء النص الشعري

د. بدران عبدالحسين محمود

المدرسة صباحاً لأنها جواب الجملة متى تذهب الى المدرسة؟، ولقد تنبه بعض نقاد العرب القدامى الى هذا النوع الحوارى، ومن هؤلاء النقاد عبد القاهر الجرجاني في حديثه عن الفصل والوصل، فهو يقول "ان الفصل أينما وقع بين الجملتين لأن بالعبارة فكأنما أجاب عن سؤال مقدر، وأذا جاءت الجملة بعقب ما يقتضي سؤالاً فصلت عنه" وتلمح إشارة الى هذا النوع من الحوار عند الزمخشري وذلك ضمن حديثه عن التقديم والتأخير واستفاد من هذه الإشارة في تفسير بعض آيات القران الكريم فهو يقول في تفسير قوله تعالى "بشر الكافرين بأن لهم عذاباً أليماً" أنه يخبر ويجيب السائل عن أحوالهم يجلب العكس من الكلام الذي يقصد به الاستهزاء، كأن يقول الرجل لعدوه "أبشر بقتل ذريتك ونهب مالك"<sup>(٣)</sup>.

والآية الكريمة كما يرى الزمخشري هي جواب للسائل عن أحوال المنافقين والسائل مجهول والحوار افتراضي فرضته طبيعة الجملة التي وردت في الآية الكريمة وقد تتعكس المسألة فتكون الجملة في النص أو الفقرة الشعرية سؤالاً وتبقى إجابته مقدرة، يقول عنتره:

**هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار توهم**

فهذه أسئلة يجيب عليها المرسل اليه المفترض سواء كان داخل النص أم خارجه وسواء كان المروي له أم المتلقي المفترض.

ويستنتج من ذلك أن الحوار الافتراضي أو المضمّر أما أن يكون جواباً لسؤال تقدره طبيعة الكلمة أو الفقرة أو الجملة وحينئذ لا نسمع إلا صوت المرسل وكأنه يجيب على أسئلة مفترضة يمكن تقديرها من خلال الأجوبة الظاهرة التي ينطق بها أو يكون سؤالاً يبحث عن جواب مقدراً تحدده طبيعة السؤال والتساؤل.

والحوار حينما يقع في هذا الإطار فإنه يدخل إطار الإضمار الذي يهيمن على بنية القصائد التي لا تستخدم صيغ الحوار الخارجي كما يهيمن على بنية السرد في الأعمال القصصية من خلال الأسئلة المفترضة التي يجيب عنها الراوي في سرده وحينما

يتخلى السرد عن الاستعانة بالحوار الظاهر والحوار الداخلي. ولقد شاع هذا النوع الحوارية في الشعر القديم مثلما هو شائع في الشعر الحديث بوصفه الجزء الذي يكمل بنية الخطاب الشعري ولأن القصيدة الغنائية مثل المسرحية تشكل تمثيلاً مباشراً توجد شخصاً واحداً للشاعر أو بديله، يغني أو يتحدث<sup>(٤)</sup> وهذا ما يجعل المحاور مجهولاً أو مفترضاً لاسيما وأن الشعر هو مخاطبة أو حوار صراحة أو ضمناً الأمر الذي يجعل الحوار الافتراضي يشغل الجانب الأوسع من الدائرة الحوارية ففي النصوص الشعرية التي تفيض بالإرهاصات والأحاسيس والأفكار المنفصلة وما تطرحه من أسئلة وتساؤلات لا نسمعها ولا نراها ولكنها تتراعى من خلال الاجوبة التي تكون نسيج النص وقد تتفق الاسئلة أو الاجوبة التي يطرحها المحاور مع اتجاهات أو فهم المتلقي فينتج عن ذلك التفسير وقد لا تتفق فينتج عن ذلك اختلاف يدعو الى التأويل. وفي ضوء ما ذكرناه وما سنعرض له من نصوص يمكننا أن نستنبط للحوار الافتراضي طرقاً عدة على وفق ما يلي:

#### ١. الطريقة الأفقية:

وتحدث في النص حينما يكون "هناك فصل لا وصل ومقياس وجودها أن تكون الجملة جواباً عن سؤال مقدر"<sup>(٥)</sup> ويستطيع المتلقي الخارجي (القاريء) أن يقدر الأسئلة من خلال قراءته للتركيب النحوي للنص فقط وستتفق تلك الأسئلة مع أسئلة المحاور الافتراضي أو يجيب على الأسئلة التي يطرحها النص وفي هذه الحالة ستكون الإجابة على وفق المستوى النحوي أو الدلالي هذا ما يجعل الأجوبة المقدره تختلف من قاريء الى آخر وقد تتسجم أو تختلف مع إجابة المحاور الافتراضي التي تتحدد أجابته مقصدية النص فالمهم هو أن يكون المحاور مفترضاً سواء كان ذلك المحاور مخفياً وراء الإجابات التي تتمظهر في النص وتقرر الأسئلة او أن تظهر إجاباته على الأسئلة التي يطرحها النص في المواضيع الاستفهامية فتكون مشتركة مع إجابات المرسل دون أن نعرف مصدر تلك الإجابات غير أنها تداخلت مع النص واشتركت معه في البنية والنسيج. ويقوم الحوار الأفقي على مقومات متعددة تبعاً للغرض الذي يتناوله الخطاب الشعري أو الفكرة التي يتبناها ولعل من أبرز تلك المقومات التي تعتمد عليها هذه الطريقة الحوارية هي:

## أثر الحوار الافتراضي في بناء النص الشعري

د. بدران عبدالحسين محمود

### أ. التساؤل:

هو مجموعة من الأسئلة التي يطرحها النص بصيغها الاستفهامية، فأما أن تأتي الإجابة بعد الأسئلة مباشرة في النص أو تكون الإجابات مقدرة يحددها المحاور المفترض وتفيد هذه الحالة في التتابع وطرح الأفكار والاستهلاك بحيث يفرض على المحاور داخل النص والمتلقي خارج أسئلة بحاجة إلى إجابة أو توضيح إلى الدرجة التي تشرك المتلقي في العملية الإنتاجية للنص كما وأنها "تمد سيطرتها على أذهان الشعراء في التصور والتخيل والتركيب"<sup>(٦)</sup> ومثال التساؤل الذي تظهر إجابة المحاور المفترض فيه قول عمر بن أبي ربيعة:

هل عند رسمٍ برامةٍ خبرٌ	أم لا فأَيُّ الأشياءِ تنتظرُ
وقفت في رسمها أسائله	والدمع مثل الجمان منحدرُ
لا يرجع الرسمُ بالبيان وهل	يقفه رجعاهُ حين يندثرُ <sup>(٧)</sup>

ونلاحظ هنا أن المرسل قد وقف متسائلاً أمام الديار التي لم يبقى منها إلا الرسوم والذكريات وما تبعته فيه من عواطف وأشجان الأمر الذي جعل المرسل يطرح أسئلة هل عند رسمٍ برامةٍ خبرٌ؟ أم لا؟ فأَيُّ الأشياءِ تنتظرُ؟ ومن وسط هذه الديار الدراسة يأتي صوت المحاور المفترض ليجيب بقوله

لا يرجع الرسمُ بالبيان وهل	يقفه رجعاهُ حين يندثرُ
----------------------------	------------------------

وهو لا يكتفي بالجواب فحسب بل يقدم المبرر أيضاً لذلك الجواب حيث لا عودة للماضي ولا رجعة للاندثار. ولا شك فأن الدراسات النقدية التي سبقت ظهور البنية تقول أن الشاعر هو الذي يسأل وهو الذي يجيب وأغفلت دور المرسل إليه الافتراضي الذي يحاور المرسل وأحياناً يغير من وجه نظره، أن هذا الجواب الذي افترضناه من قبل المحاور المفترض وقد حقق الحوارية في النص لأن تلك الإجابة قد جاءت لتلغي أمل المرسل في رد الجواب من الديار الدراسة والكف عن طرح الأسئلة والانتقال إلى غرضٍ آخر.

وقد يبقى كلام المحاور المفترض مضمراً يفترضه ويقدره المتلقي وهذا ما يجعل النص أحياناً متوتراً والأسئلة متتابعة مثل قول السياب في قصيدته حفر القبور:

هل كان عدلاً أن أحن الى السراب، ولا أنال

الا الحنين- وألف أنثى تحت أقدامي تنام؟

أفلكما أتقدت رغاباً في الجوانح شح مال؟

مازلت أسمع بالحروب فأين أين هي الحروب؟

أين السنايك والقذائف والضحايا في الدروب؟

فالأسئلة هنا متتابعة والتوتر وأضح وبإمكاننا صياغة محاورة بين المرسل (المحاور) والمحاور الافتراضي على النحو الآتي:

المحاور هل كان عدلاً أن أحن الى السراب، ولا أنال؟

المحاور الافتراضي ليس عادلاً ولكن المنال قد يأتي عند طريق الاموال

المحاور أفلكما أتقدت رغاباً في الجوانح شح مال؟

المحاور الافتراضي كلا فقد تاتي حربٌ تزيد أعداد الموتى فيكثر حفر القبور ويزداد المردود المالي للحفارين.

المحاور مازلت أسمع بالحروب فأين أين هي الحروب؟

ولأنه في حالة توتر فإنه يستمر في حوارهِ وتوجيه أسئلته بلا انقطاع

أين السنايك والقذائف والضحايا في الدروب؟

فيكون الجواب قد لا تأتي. أن مثل هذا التحوار الافتراضي سيجعل السيل الشعري يمضي الى الأمام بلا انقطاع ولو لم يتخيل المرسل هذه المحاورة لوقف عند السطر الأول دون الاستمرار في طرح الأسئلة أو الإجابة عليها. وقد تقوم هذه الطريقة وفق صيغة أخرى هي:

ب. جواب الأسئلة المفترضة

وفي هذه الصيغة لا نسمع أو نقرأ الا الاجابة على أسئلة يمكن افتراضها وكأن

المرسل داخل النص يجيب على أسئلةٍ موجهة إليه وهذه الصيغة واسعة في الشعر لاسيما

## أثر الحوار الافتراضي في بناء النص الشعري

د. بدران عبدالحسين محمود

الشعر ذو الطبيعة السردية لأنها تتلائم مع السرد وأمتداد الفكرة وتوضيح ذلك نختار هذا المقطع من إحدى قصائد الفرزدق:

أن الذي سمك السماء بنى لنا بيتاً دعائمه أعز وأطول  
بيتاً بناه المليك وما بنى حكم السماء أنه لا ينقل  
بيتاً زُرارة محتبٍ بفئائه ومجاشع وأبو الفوارس نهشلُ

لا شك في أن المرسل في هذا المقطع يريد أن يفتخر ببيته وأمجاد أهله ولكن لا شيء ينشأ عن فراغ ولذلك فإنه التجأ الى محاور مفترض يوجه إليه الأسئلة ليكون النص الاجابة عليها وحينما نخضع النص للحوار الافتراضي يكون على النحو الاتي:

المحاور المفترض من الذي بنى هذا البيت؟

المحاور أن الذي سمك السماء بناه.

المحاور المفترض وهل هو واسع وكبير؟

المحاور بيتاً دعائمه أعز وأطول (الاتساع).

المحاور الافتراضي هل هو ثابت أم متنقل؟

المحاور

بيتاً بناه المليك وما بنى حكم السماء أنه لا ينقل

المحاور الافتراضي من سكن هذا البيت قبلك؟

المحاور

بيتاً زُراً محتبٍ بفنائِه ومجاشع وأبو الفوارس نهشلُ

ومن خلال هذه المحاور أستطاع المحاور من الوصول الى المقصدية وهي الفخر. وتتسجم هذه الطريقة مع الشعر الحديث بدراسة أعلى من الشعر القديم لما تمتلكه النصوص الحديثة من تقنية عالية في نسج البنى النصية وقدرة على إدارة الحوار أو السرد كما أن التحرر من الالتزام الموسيقي في القصيدة والقافية الموحدة قد ساحت للنص بفرصةٍ أوسع في أظهر الأصوات المتعددة في النص منها والمضمرة ولتوضيح ذلك نختار هذا المقطع من قصيدة محمد البقال لحميد سعيد:

في زحمة المتشردين أراه أو ألقاه.

كان يريد مني أن أرافقه

وكنت أريد رففته الى الزمن المشاكس

كان يكتشف اعتراضاتي عليه

وينتهي منها بدائرة من الأصحاب...والخمرة الرديئة<sup>(١٠)</sup>

لقد أختار المرسل في النص طريقة السرد وكان بالإمكان استخدام الحوار الظاهر طالما يقوم السرد على رواية الحوار، كان يريد مني، كنت أريد، وعليه فأن المرسل في هذا السرد قد قدم اجابات عدة يمكن افتراضها على وفق هذه المحاور

المحاور الافتراضي هل ترى محمد عند البقال وأين؟

المحاور في زحمة المتشردين أراه أو ألقاه.

المحاور الافتراضي وماذا كان يريد؟

المحاور كان يريد مني أن أرافقه

المحاور الافتراضي وهل راففته؟

المحاور كلا كنت أريد رففته الى الزمن المشاكس.

## أثر الحوار الافتراضي في بناء النص الشعري

د. بدران عبدالحسين محمود

المحاور الافتراضي وهل اكتشفت شيئاً من ذلك؟

المحاور كان يكتشف أعتراضاتي عليه.

المحاور الافتراضي وماذا كانت ألالنهاية؟

المحاور ينتهي منها بدائرة من الأصحاب...والخمرة الرديئة.

أن مثل هذا التماور الذي افترضناه يجعل النص عبارة عن إجابات تشكل التركيب الذي نراه في القصيدة كما يجعل التقارب بين القصيدة والمسرحية ممكناً سوى أن المسرحية تعتمد على الحوار الظاهر والشخصيات المتعددة في حين تعتمد القصيدة على صوت مسموع وأصوات أخرى مضمرة أو مروية وقد تأتي في بعض الأحيان بشكل ظاهر.

### ٢. الطريقة العمودية:

يتجه الاتجاه العمودي الى سبر أغوار النص عن العوامل التي تتحكم في بنية النصوص ويؤكد ليفي شتراوس "أن البحث البنائي يصبح عبثاً أن لم يأخذ في الحسبان دراسة حالات كثيرة بشكل سطحي لا تؤدي الى أية نتائج ذات قيمة وعلى العكس من ذلك فإن دراسة حالات قليلة بتحليل عميق يفضي الى الكشف عن ميكانيزم الواقع وصيغ نماذجه الاصلية الشائعة"<sup>(١١)</sup> ويخدم هذا الاتجاه الحوار الافتراضي لأنه يدخل في صلب اختصاص العوامل التي تتحكم بعملية إجراء الحوار من خلال تحكمها في بنية التركيب للنصوص سواء كانت شعرية أو نثرية والعوامل التي تخضع لها النصوص هي "المرسل والمرسل إليه والموضوع والبطل والعامل المعوق"<sup>(١٢)</sup>، وقد يكون المرسل بطلاً في النص وقد يكون روائياً له وبالعكس كما قد تخلو بعض النصوص من هذه العوامل وذلك على وفق ما يتناسب مع طبيعة النص وأتساعه، ولسنا بصدد شرح تلك العوامل قدر ما يزيد تأكيد التأثير التي تحدثه في عملية إجراء الحوار العميق الذي لا يقف عند الحدود الظاهرة التي تتصل بالمحاور والمحاوَر وإنما يتعداه الى حالات لا تظهر بشكل جلي وإنما هي بحاجة الى الغوص الى أعماق النص وأكتشاف ما يخبئه ولتوضيح ذلك نورد هذا المقطع من قصيدة لأبي صخر الهذلي:

لقد كنت آيتها وفي النفس هجرها	بتاتاً لطول الدهر ما طلع الفجرُ
فما هو الا أن أراها فجأةً	فأبهت لا صرف لدي ولا نكرُ
وأنسى الذي قد كنت فيه هجرتها	كما قد تنسي لبّ شاربها الخمرُ
ويمنعني أني قد علمت لئن بدا	إذا ظلمت يوماً وإن كان لي عذُرُ
وأني لأدري أذا النفس أشرفت	لي الهجر منها ما علي هجرها صبرُ

ويظهر هنا أن المرسل هو البطل لأنه يتحدث بصيغة الأنا وهناك محاور الافتراضي الذي يسأل المرسل ويطلب وهناك محاوران آخران هما المحاور المساعد الذي يدخل ضمن العامل المساعد، والمحاور الذي يدخل في العامل المعوق.

والمحاور الافتراضية التي يمكن تشكيلها من النص هي الموضوع ويمكن صياغة الماحورة على النحو الآتي:

المحاور الافتراضي هل تستطيع هجر من تحب؟

المحاور لقد كنت أيتها وفي النفس هجرها

المحاور المساعد على الهجر (العامل المساعد) أهجرها (بتاتاً لطول الدهر ما طلع الفجر)

فما هو الا أن أراها فجأةً	فأبهت لا صرف لدي ولا نكر
وأنسى الذي قد كنت فيه هجرتها	كما قد تنسي لبّ شاربها الخمر

المحاور المضاد (المعرق) الا تخاف من هجرها وما يفعله بك؟

المحاور

مخافة أني قد علمت لئن بدا لي الهجر منها ما علي هجرها صبر

## أثر الحوار الافتراضي في بناء النص الشعري

د. بدران عبدالحسين محمود

المحاور المساعد أمتأكد أنت من فعل الهجر؟

المحاور

وأني لأدري إذا النفس أشرفت لي الهجر منها ما علي هجرها صبر

وهكذا أصبح النص عبارة عن محاورة تتجاذبها أطراف متعددة ولم تقتصر على المحاور الافتراضي والمحاور المرسل وإنما أتسع الحوار ليشمل العوامل المتعلقة ببنية النص وما جملة من افتراضات للأسئلة التي يمكن أستنباطها من بنية الامر الذي يساعد على أتساع وتشعب الأفكار المطروحة كما يساعد على تأويل النص على وفق ما يتحمله من أجابات دلالية متنوعة تصلح للرد على أسئلة المؤول وتساير اتجاهاته. ففي النص المذكور آنفاً يكشف لنا الحوار أن المرسل يفق بين الأقدام على الهجر والأحجام عن ذلك الأقدام وهناك ما يشجعه وهناك ما يعارضه وهذا ما جعل المتناقضات النفسية واضحة في النص الى الدرجة التي ينبغي الوقوف عندها واكتشاف المخبوء العميق فيها والذي يساعدنا على اكتشاف ذلك المخبوء العامل المساعد(المحاور المساعد) على الهجر والعامل المعوق(المحاور المعوق) على الاقدام على الهجر فضلاً عن أطراف المحاور ان صياغة الحوار على وفق هذه الصيغة يجعل تفكيك بنية النص أمراً مساعدا على كشف الجزئيات الدقيقة فيه ومن ثم تركيبه بعد ما يحصل له من تفسير أو تأويل كما يجعل الأطراف المشتركة في بنية حوار متعددة وموضحة للفكرة.

### أشكال الحوار الافتراضي:

تختلف الأشكال التي يتخذها الحوار الافتراضي وذلك وفقاً لطبيعة الأسئلة التي يكون النص اجابات عليها، فهناك من الاسئلة ما يتطلب الشرح والتطوير وهناك منها ما يحتاج الاختصار والتكثيف أو الاجابة بنعم أو لا فقط وعليه فأن الحوار الافتراضي يتخذ شكلين رئيسين هما الحوار الطويل والحوار القصير شأنه في ذلك شأن الحوار الظاهر الذي يتخذ هذه الاشكال تماشياً مع الفكرة أو متطلبات اجراء الحوار:-

## ١. الحوار الطويل:

يقوم هذا الشكل على الشرح والتفصيل في الإجابة على السؤال المقدر وهذا يساعد على توضيح أفكار المحاور ويوفر للقصيدة مجالاً للتعبير عن الموضوع وخلق الأحداث بشكل واضح ومتنامي وتعبير آخر "انه يوفر للقصيدة في مجملها حيوية أكثر" وغالباً ما يحدث هذا الشكل الحوارى التي تحتاج الى استدلالات عقلية وبرهانية أو حينما يلجأ المرسل الى سرد حدث معين أو حكاية، فعندها لا يحتاج النص الى التناوب الحوارى، وانما يكون المحاور الافتراضى مستمعاً لما يسرده المحاور وينخفض دوره الى درجة التلاشى أحياناً وذلك بسبب سيطرة المحاور على المحاوره وهذا ما يؤدي الى طول الإجابة كما يجعل النص الشعري متماسكاً والوحدة الموضوعية مترابطة ولا يمكن تجزئتها وتشتمل على إيضاح كاف لجوانب الموضوع المقصود بالسؤال ومثال هذا الشكل هذه المقطوعة الشعرية لعيسى بن عاتك الخطي أحد شعراء الخوارج القائمة أفكارهم على الجهاد" ويرسم شعرهم صوراً لميولهم وشجاعتهم وبطولتهم واقتحامهم الأهوال وترحيبهم بالاستشهاد في سبيل عقيدتهم"<sup>(١٥)</sup> حيث تقدم المقطوعة أسباباً مقنعة لعدم خروج أحد الخوارج للقتال على الرغم مما ذكرناه عنه والمقطوعة في صياغتها التركيبية يمكن أن تكون جواباً لسؤال مقدر يطرحه المحاور الافتراضى والسؤال هو لماذا تحب الحياة ولم تخرج للجهاد في سبيل الله؟ وكان الجواب هذه المقطوعة الشعرية:

لقد زاد الحياة الي حباً	بناتي أنهن من الضعاف
مخافة أن يرين الفقر بعدي	وأن يشربن رنقا بعد صاف
وأن يضطرهن الدهر بعدي	الى جلف من الأعماق جاف
فلولا ذال قد سومت مهدي	وفي الرحمن للضعفاء كاف <sup>(١٦)</sup>

ولا يوجد فصل في هذه الابيات تسمح بسؤال جديد وتكرار حرف الواو بجعل الجملة موصولة بلا انقطاع كما تصلح كل جملة كل في هذه المقطوعة الشعرية أن تكون

## أثر الحوار الافتراضي في بناء النص الشعري

د. بدران عبدالحسين محمود

جواباً له ولم يكتف المرسل بالاجابة الغفيرة التي يمكن اختصارها بالقول (أحب بناتي) وإنما قدم الحجج والبراهين المغلفة بعاطفة الأبوة الجياشة التي تجعل المحاور المفترض صامتاً ولا يتمكن من المحاججة أو المحاوره وهذا لا يكون الا باستخدام الحوار الطويل المقنع والنابع من أفكار متكاملة. ويسود هذا الشكل الحواري في الأسلوب القصصي وذلك لأن هذا الأسلوب بحاجة الى سرد وحكاية راو ومستمع (مروي له) وكثيراً ما يجعل الراوي المحاور الافتراضي وسيلة لسرد الحكاية حيث يكون دور المحاور الافتراضي هو توجيه سؤال الى الراوي يخص الحكاية فيقوم الراوي بسردها بشكل مختصر أو تفصيلي . ونختار لذلك هذه المقطوعة لحسب الشيخ جعفر بعد اخضاعها للحوار الافتراضي

المرسل الحلوة الصغيرة

المحاور الافتراضي ما بها ؟

المرسل مرت وما ألفت علينا لفتة أخيرة

عشت على انتظارها سنين

محترق الشفاه والجبين ... أجف في الظهيرة

منتظراً لفتتها الاخيرة تضيء لي حنيني .. وتمسح التراب عن جبیني

أضعتها ... أضعتها ... ما ابتل وجهي بالندى في ظل مقلتيها

لم أذق الكرى على يديها

أن مثل هذا السرد لا يحتاج الى طرح الاسئلة المفترضة بل على العكس قد يؤدي تكرار تلك الاسئلة الى فقدان التوتر والتواصل بين الجمل الشعرية في النص كما ويلاحظ أن صوت المرسل (المحاور) يغطي مساحة النص ويوضح المقصدية ويسمعنا الحكاية، أما النصوص ذات الاتجاه الفكري فان الحوار الطويل قادر على الإحاطة بالموضوع كما هو قادر على الاثبات والاستدلال .

### ٢. الحوار المختصر:

يدخل هذا الشكل الحواري بنية القصائد التي تستخدم الجمل المكثفة والموجبة ذات الدلالات الواسعة، وهذا ينسجم مع فنية الشعر وحاجته الى تكثيف لان الشرح قد

يضر بإيحاءات الشعرية ان لم يحسن استخدامه أو يكون من التكرار غير المبرر، الذي يحول النص الى إسهاب مضر بالمهارة الشعرية.

ونعني بالحوار المختصر ضمن اطار الحوار الافتراضي للإجابة القصيرة على أسئلة المحاور المفترض أو طرح الاسئلة التي لا تحتاج الى اجابة طويلة. وكلما تعددت داخل النص كلما تشعبت معها الاسئلة المفترضة أو الأجوبة المحتملة، وهذا ما يجعل التكتيف في النصوص الشعرية من الامتيازات التي تطبع النصوص بالجودة والفنية، وكما أنه يسمح بتعدد الأغراض وتلون الأفكار ويصل بها الى التكامل ويقدم الاعذار لذلك التعدد ويجنب النصوص من الامور غير المفيدة ويعزز دور الدلالة في أقل ما يمكن من صياغة للعبارات. ومثال تعدد الاسئلة التي لا تحتاج سوى اجابة مختصرة هذه الابيات لجرير :

من سد مطلع النفاق عليهم	أم من يصول كصوله الحجاج
أم من يغار على النساء حفيظة	أذ لا يثقن بغيره الأزواج
أن ابن يوسف فاعلموا وتيقنوا	ماض البصيرة واضح المنهاج <sup>(١٨)</sup>

ويظهر في هذا النص توالي الأسئلة مع اعطاء مفاتيح الجواب التي تتمظهر في عبارة (صوله الحجاج) والبيت الثالث من المقطوعة، وتوالي هذه الأسئلة وتتابعها تخدم الغرض التي جاءت من أجله وهي اصفاء المدح عن طريق الاجابة المضمره التي ستبدو جلية أمام المقدمات لتحليل الاجابة المضمره التي ستبدو جلية أمام المقدمات لتحليل الإجابة. أما الاسئلة فهي:

## أثر الحوار الافتراضي في بناء النص الشعري

د. بدران عبدالحسين محمود

من سد مطلع النفاق ؟

من يصول كصوله الحجاج ؟

من يغار على النساء ؟

والبيت التلث ينبه الى الجواب دون أن يذكره فلو كان البيت انه ابن يوسف فأعلموا ... لكان جواباً لهذه الاسئلة ولكن كان ابن يوسف (الحجاج)، والإجابة المقدره بالرغم من تعدد الاسئلة من المرسل تكون قصيرة ولا تحتاج الى تفصيل الا في حالة التأكيد وهذا ما لا يريده المرسل لأن مقصديته باتجاه المدح وليس لإثبات شيء يحتاج الى البراهين .

وهذا الشكل الحواري شائع في الشعر الحديث لاسيما في القصائد القائمة على التقابل و الاستمرارية في التوتر والحركة :

وهاج فينا هوى ماكلن أقربه	وكان أناه آمادا وزمانا
وكان أعذبه ما شف انفسنا	وكان أقساه تبريحا وعصيانا
وكان أصفاه بهمي في جوانحنا	وكان أكدره هما وخذلانا <sup>(١٩)</sup>

وهنا تصلح كل كلمة جاءت بعد أن تكون جواباً لسؤال يقدره المحاور المفترض وعلى النحو الاتي:

المحاور المفترض كيف كان أناه؟

المحاور كان آمادا وأزمانا

المحاور الافتراضي وما هو أعذب شيء فيه؟

المحاور ما شف أنفسنا

المحاور الافتراضي وما هو أقسى شيء فيه؟

المحاور كان تبريحا وعصياناً

المحاور الافتراضي وأين كان أصفاه؟

المحاور كان يهمني في جوانحنا

المحاور الافتراضي وما أكدره؟  
المحاور كان أكدره هماً وخذلاناً

أن هذا التقابل وتكرار كلمة كان قد جعلت الخطاب متقطعاً وفي الوقت ذاته متواصلاً ومستمراً مع تدفق الحركة وعلو شحنة التوتر وهذا ما يتلاءم مع التقطيع فكيف حدث اجتماع لنقيضين؟ أن الذي أحدث هذا التلاؤم هو وجود أسئلة مفترضة تجعل من النص إجابات متواصلة ومستمرة يختفي معها التقاطع وتزول عنه التجزئة بل أن هذه الأسئلة هي التي فرضت على النص هذا التقابل وهذا التقطيع وأبعدته عن الشرح والتفصيل واستخدام الصيغة السردية.

ومجمل القول هو أن للحوار الافتراضي دور كبير في تفكيك النص وإعادة تركيبه وأنه يدخل بنية كل نص ليؤكد من خلال ذلك أن الحوار يسير النصوص ويشغل الأفكار ويبرزها إلى السطح، وعلى الرغم من سعة المساحة التي يحتلها الحوار الافتراضي ألا أننا لم نجد تناولاً كافياً لهذا الموضوع الحيوي من قبل النقاد وهو بلا شك بحاجة إلى دراسة أوسع وأعرق تتناول جوانب الموضوع المتشعبة وتقضي إلى نتائج أوسع.

#### المصادر والمراجع والشواهد:

١. أصوات الشعر الثلاث - ت.س أليوت - ترجمة لطيفة الزيات - القاهرة - ب.ت - ص ٦١.
٢. دلائل الأعجاز - عبد القاهر الجرجاني - القاهرة - ١٩٣١ - ص ٢١٦.
٣. الكشف - جار الله الزمخشري - بيروت - ب.ت - ج ١ - ص ١٩٧.
٤. التراث السردية - روبرت شلوتز - ترجمة د.علاء حسين عودة - الثقافة الأجنبية - العدد ١ - ١٩٩٨ - بغداد - ص ٥٠.
٥. آليات تناسل الخطاب الشعري، محمد مفتاح - مجلة كلية الآداب - فاس - العدد - ٩ - ١٩٧٨ - ص ٢٨.

أثر الحوار الافتراضي في بناء النص الشعري

د. بدران عبدالحسين محمود

٦. ينظر تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام - شكري فيصل - بيروت - ١٩٨٦ - ص ١٣٠.
٧. ديوان عمر بن أبي ربيعة - تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد - القاهرة - ١٩٦٠ - ص ١٣١.
٨. ديوان أنشودة المطر - بدر شاكر السياب - بيروت - ب.ت - ص ٢٠٨.
٩. ديوان الفرزدق - إيليا الحاوي - بيروت - ١٩٨٣ - ج ٢ - ص ٣١٨.
١٠. طفولة الماء - حميد سعيد - بغداد - ط ١ - ١٩٨٥ - ص ٤٢.
١١. ينظر النظرية البنائية في النقد الأدبي - صلاح فضل - ط ٣ - بغداد - ١٩٧٨ - ص ٣٤٠.
١٢. دينامية النص - محمد مفتاح - المركز الثقافي العربي - الدار البيضاء - ١٩٨٧ - ص ١١٧.
١٣. الامالي - أبو علي القالي - بيروت - ب.ت - ج ١ - ص ١٤٩.
١٤. الشعر العربي المعاصر - عز الدين إسماعيل - دار العودة - بيروت ط ٣ - ١٩٨١ - ص ٢٩٩.
١٥. اتجاهات الشعر في العصر الأموي - صلاح الدين الهادي - القاهرة - ١٩٨٦ - ص ١٦٩ د.
١٦. شعر الخوارج - أحسان عباس - بيروت - ١٩٦٣ - ص ١٣.
١٧. الأعمال الشعرية - حسب الشيخ جعفر - بغداد - ١٩٨٥ - ص ١٤٥ - ١٤٦.
١٨. ديوان جرير - دار الأندلس - بيروت - ب.ت - ص ٩٠.
١٩. هنا الفاو - كمال الحديثي - بغداد - ١٩٨٨ - ص ٤٧.